

بمراحل تاريخية محددة في أوروبا ، ووضع الأساس النظري لها خلال القرنين الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر ، ثم زادت قوة وانتشارا ابتداء من النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، واكتسبت شعبية واسعة في المرحلة ما بين الحربين العالميتين ، ثم تحولت الى سياسات في التطبيق في الدولة الفاشية والنازية .

لقد كان الأحياء الرومنسي للتاريخ خلال القرن الثامن عشر أمرا أساسيا وجوهريا لنمو المثال العرقي ، بمثل أهميته لنمو القومية الحديثة والتقدمية ، ثم أضافت قوانين التطور العضوي والبيولوجي ، والتي انتقلت من مجالات البيولوجيا ، الى مباحث اللغويات ، لتلعب دورا حاسما في نمو وتطور الفكر العرقي . وكانت المعالجة العضوية للتاريخ او معالجة تاريخ الشعوب ككائن عضوي في بيئة بعينها ، وينمو ويتطور وفق قوانين التطور الحيوي والبيولوجي ، دورا خاصا في خلق الفواصل والفوارق السحيقة بين الناس والأمم حتى قيل ان هذه الفوارق ليست من فعل الانسان او البيئة الاجتماعية ، بل هي ثمرة خطة الهية . كان لجون جوتفريد هردير (١٧٤٤ - ١٨٠٥) الذي سبق الحديث عنه مثل هذه النظرة التي كان لها تأثيرها الواسع في غرب وشرق أوروبا . فقد اعتبرت الطبيعة والتاريخ بمثابة القوى الخلاقة في الكون واد بحت الاصلية والتلقائية الغريزية للشعوب في جذر السمات التي يتميز بها كل شعب من خلال تطوره في التاريخ ، وهي تعبر عن نفسها من خلال اللغة القومية والشعر الشعبي والاسطورة ، والادب عموما الذي يخلقه الشعب بغريزته وتلقائيته هذه . واعطى هردير للقومية ابعادا جمالية وتاريخية ولغوية جعلت منها كائنا عضويا حيا ينفصل ويتميز على اي شكل من اشكال التنظيم السياسي ، وهذا الشعب او الكائن الحي اسمى من الدولة ذاتها . وبالرغم من ان هردير نفسه ينتمي بلا شك الى رجال عصر التنوير ولم يكن يؤمن بالعرق او بتفوق امة ، كما لم يكن حبه لشعبه يستبعد احترامه للشعوب الاخرى ، الا ان هذا الفكر كان له ابعاد الاثر في ظروف اخرى مغايرة في خلق واثمار المفهوم العرقي (١٢) .

وكان تأكيد هردير على اللغة باعتبارها التعبير عن الماضي المشترك للشعوب ، من الامور الشائعة بين جيل كامل من اللغويين في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر . وقد انتهى علماء اللغة الى ان السنسكريتية كانت هي اصل اللغات الأوروبية الغربية وانها انتقلت الى أوروبا من آسيا خلال هجرة الشعوب الأوروبية . ولكن سرعان ما انقلب هذا البحث اللغوي الفيلولوجي الى احكام اخلاقية وقيمية ، فأصبح الآريون الذين اعطوا الأوروبيين لغاتهم ، يعكسون في ماضيهم تفوقا اورثو لابنائهم من الأوروبيين . وقد وجد الرومنسيون الرجعيون ، من خلال علم اللغة رباطا بين ما قبل التاريخ الآري والشعوب